

الحركة الوطنية الجزائرية: المصطلح والمفهوم

د/ فريح خميسي

جامعة بسكرة

الملخص :

Résume:

Le but de cette étude est d'examiner le terme (mouvement national algérien) et sa conception, et l'opinion des historiens, qu'ils soient étrangers ou algériens, depuis son émergence et son étroite association avec les termes : nationalisme, nation algérienne, et entité politique, afin de définir sa définition précise et complète, et puis d'atteindre la fin de l'étape étroite à laquelle le terme est venu aux militants du parti du peuple algériens, et enfin s'arrêter à la relation entre (le mouvement national) et le terme (révolution algérienne).

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة البحث في مصطلح "الحركة الوطنية الجزائرية" ومفهومه ورأي المؤرخين سواء كانوا جزائريين أو أجانب من زمن ظهوره، وارتباطه الوثيق بمصطلحات: القومية، والأمة الجزائرية والكيان السياسي، وذلك بغرض تحديد تعريفه الدقيق والشامل، ثم الوصول إلى النهاية الضيقة التي آل إليها المصطلح لدى مناضلي حزب الشعب الجزائري، وفي الأخير التوقف عند العلاقة التي تربط "الحركة الوطنية" بمصطلح "الثورة الجزائرية".

مقدمة:

تباينت الكتابات التاريخية في اعطاء تعريف محدد وشامل لمصطلح "الحركة الوطنية الجزائرية"، وهي التي اختلفت في تحديد تاريخ ظهورها. فكانت جل الدراسات . حسب اطلاعنا . أنها تقف عند عرض مظاهرها وأساليبها في مواجهة الاحتلال الفرنسي، سواء كان ذلك في مظهرها المسلح أو السياسي، أو الثقافي والفكري، ومن جانب آخر قد تتعرض لاتجاهاتها السياسية من منطلق أن مصطلح "الحركة الوطنية" مصطلح سياسي حديث التداول ارتبط بظهور حركات التحرر الوطنية في كثير من بلدان العالم التي وقعت تحت نير الاستعمار الأوروبي في القرن التاسع عشر الميلادي. ويبدو أن سبب تباين هذه الكتابات، هو أنها عندما أرخت للحركة الوطنية الجزائرية لم تقدم تعريفا اصطلاحيا لها، حتى يكون معاييرا مرجعيا يحتكم إليه الباحثون.

من هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لعلها تكون محاولة لتوضيح مصطلح ومفهوم "الحركة الوطنية الجزائرية"، وتبرز خلفيات التباين الفكري التي تقف وراء هذا الاختلاف من جهة، وعرض المصطلحات التي تساعدت المصطلح على تحديد مفهومه من جهة أخرى. يتألف مصطلح الحركة الوطنية من كلمتين هما: "الحركة" و"الوطنية"، فبخصوص "الحركة"؛ التي هي في اللغة الفرنسية (Mouvement) وباللغة الإنجليزية (Movement) وتعني النشاط والعمل، أما في لغة السياسة فهي التيار العام الذي يدافع عن طبقة من الطبقات أو فئة اجتماعية معينة إلى تنظيم صفوفها بهدف القيام بعمل موحد لتحسين حالتها الاقتصادية والاجتماعية أو السياسية أو تحسينها جميعا.⁽²⁾

أما بخصوص "الوطنية"؛ فإنه يجب توضيح الفرق بين مفهوم معنيين كثيرا ما يقع فيه الغلط والأشكال ولا سيما في ترجمته من اللغات الأجنبية، الأول هو مفهوم الوطنية (Patriotism) التي تعني حب الإنسان لوطنه الذي ولد فيه، واستعداده للدفاع عنه والموت في سبيله، والثاني هو مفهوم القومية (Nationalism) والتي يعرفها المؤرخ هانز كوهن (Hans Kohn)⁽³⁾ على أنها حالة ذهنية يظهر فيها الولاء الأكبر للفرد نحو الدولة، وارتباط عميق بأرض الوطن وبالعادات المحلية وبالمنطقة التي يعيش فيها الفرد ويتواجد فيها منذ مر التاريخ. والقومية عنده ليست وليدة القرن الثامن عشر الذي كان يعيش عصر القوميات، بل هي متواجدة منذ القدم ممثلة في الشعور الذي يخلق الدولة التي تضم القومية بأكملها، ويمرور العصور أصبحت القوميات هي وليدة القوى المتواجدة في التاريخ، والتي كانت

تمتلك كل منها عوامل خاصة بها تميزها عن أي قومية أخرى مثل: اللغة والحدود الإقليمية والفكر السياسي والعادات والتقاليد والدين، لكن كل عامل متفرد من هذه العوامل لا يكون قومية، فهي شعور يشمل الغالبية العظمى من الناس ويضم جميع أفراد المجتمع، وهي أيضا الشكل الشرعي الوحيد لأي تنظيم سياسي، وكذلك مصدر كل طاقة ابداع ثقافي ورفاه اقتصادي.⁽⁴⁾ فالقومية اذن تعني ذلك الشعور المشترك بين جماعة معينة تنتمي إلى حضارة واحدة، ولها حدود جغرافية معينة، وتشارك في التاريخ والمصير.

أما مصطلح "الحركة الوطنية" فتعرفه الموسوعات الغربية بما يلي: ((حركة الأشخاص الذين يدركون ضرورة تكوين مجموعة أساسها الروابط العرقية واللغوية والثقافية وغيرها. وهي تنطلق من ايديولوجية ترمي إلى تمكين الأمة من حق ممارسة سياسة لا تأخذ في الاعتبار الخاصة وترفض كل ما من شأنه الحد من حريتها في العمل)).⁽⁵⁾

وفي هذا السياق؛ فإن "الحركة الوطنية" من خصائصها أنها مرحلية يتركز عملها في الدفاع عن شخصية متضمنة لقيم في حد ذاتها قد تكون صالحة أو فاسدة، تقوم بدور الحافز المحرك للشعوب، ولكنها تكاد تحرز النصر بعد تحرير الوطن وتمهيد السبيل لقيام الدولة، حتى يكون دورها قد انتهى عمليا.⁽⁶⁾ فهي ضرفيه مع وجود الاحتلال.

من خلال التعريفات والمفاهيم السابقة فإن مصطلح "الحركة الوطنية" حتى يوضع في اطاره فإنه يرتبط كذلك بمصطلحين وجب الوقوف على تعريفهما هما: "الأمة" و"الدولة، فالأمة؛ تعرف على أنها مجموعة من الأفراد تجمعهم ثقافة مشتركة تستند إلى وحدة الأصل أو اللغة أو الدين ويربط بينهم تاريخ ومصالح اقتصادية ويعيشون على أرض واحدة ويعملون على دوام هذه الروابط من الناحية السياسية في إطار الدولة.⁽⁷⁾ التي تعرفها "موسوعة السياسة" أيضا : على أنها الكيان السياسي والإطار التنظيمي الواسع لوحدة المجتمع والنظام لحياته الجماعية وموضع السيادة فيه، حيث تعلو إرادة الدولة شرعا فوق إرادات الأفراد والجماعات الأخرى في المجتمع وذلك من خلال امتلاك سلطة إصدار القوانين واحتكار حياة وسائل الإكراه بهدف ضبط حركة المجتمع وتأمين السلم والنظام وتحقيق التقدم في الداخل والأمن من العدوان في الخارج، أما مكوناتها من عناصر فهي تتألف من: الشعب والأرض والسلطة.⁽⁸⁾

تشارك الأمة مع الدولة في عنصري الشعب والإقليم، لكن الأخيرة تختلف عن الأولى فيما يتعلق بالحكومة التي تعد ركنا من أركان الدولة، وبدون الحكومة لا يمكن أن توجد دولة، أما

الأمة فإنها لا يشترط فيها أن يكون هذا الركن، وإذا توفر هذا الركن في الأمة تصبح دولة، وهدف كل أمة أن تكون دولة واحدة مستقلة.⁽⁹⁾

2. الأمة الجزائرية والكيان السياسي:

يمكن تعريف الأمة الجزائرية بناء على المفاهيم السابقة بأنها، الجماعة التي تسكن القطر الجزائري والتي تشترك في الشعور، والتاريخ والآمال والثقافة (اللغة، الدين، التقاليد)، أما الوطنية الجزائرية فهي الشعور الوطني المشترك الوفي للجزائري نحو أمته التي وجدت بين الجزائريين منذ قرون، ولكن خطر الاحتلال فقط هو الذي صقلها ووضعها في محتواها التاريخي كقوة سياسية تصارع من أجل البقاء.⁽¹⁰⁾

فقد ظهرت إلى الوجود في الفترة ما بين (1516 . 1830) دولة جزائرية تقوم على الوحدة الجغرافية والاقتصادية للبلاد، إضافة إلى الوحدة الفكرية والروحية التي قامت منذ الفتح الإسلامي، كما كانت هذه الدولة مؤيدة من طرف أغلب سكان الجزائر ومعززة بجيش بري وأسطول بحري وذات علم وبرلمان ونقد وعاصمة، وفي نفس الوقت كان للدولة الجزائرية تقاليد العرفية والديبلوماسية حسب القانون الدولي المعمول به آنذاك، ولم تكن هذه الدولة تعمل أو تمثل مصلحة دولة أجنبية كما يزعم أصحاب النظرية الاستعمارية، وفرضا كما يقول سعد الله: على أنها كانت على علاقة مع الخلافة فإن هذه العلاقة لم تكن سياسية أو قومية ولكنها كانت روحية فقط. وحتى عقل المسلم في ذلك الحين لم يكن يتصور الخلافة الإسلامية دولة أجنبية، فالواضح أن هذه الدولة كانت تعمل لمصلحة الجزائريين، فقد أخذت على عاتقها الدفاع عن ترابهم الوطني ومعتقداتهم ونظمهم السياسية، وكانت إلى جانب ذلك، تعقد الصفقات والمعاهدات الدولية باسمهم وتسب القوانين والتشريعات بإرادتهم، ذلك أن هذه الدولة كانت في الحقيقة موجودة باسمهم، فكانت جزائرية بكل معنى لهذه الكلمة.⁽¹¹⁾

فهذا "فرحات عباس" الذي كان في الثلاثينيات من القرن الماضي يطالب بالإدماج وينفي وجود أمة جزائرية ويقول عنها: ((لو كنت اكتشفت الأمة الجزائرية لكنت وطنيا ... وعليه فلن أموت من أجل وطن جزائري، لأن هذا الوطن غير موجود، وأنا لم أكتشفه، لقد سألت التاريخ، وسألت الأحياء والأموات، وبحث في المقابر: لم أجد أثرا لوطن اسمه الجزائر)).⁽¹²⁾ فهي هو يتراجع ويقول عن الدولة الجزائرية في كتابه "ليل الاستعمار" الذي أنهى من تأليفه في شهر سبتمبر 1960 ما يلي: ((في سنة 1830 كانت الجزائر دولة ذات سيادة، لا جدوى من إنكار هذا الواقع. نعم إن تحطيم هذه الدولة يظهر قوة فرنسا ولكن ليس معناه عدم

وجود الدولة الجزائرية، إن هذه الدولة، بحدودها الحالية تعود إلى سنة 1515، ولم يكن نظامها، لا أقل ولا أكثر أحكاما من دول أخرى كثيرة، كانت لهذه الدولة حياة وطنية ودولية وكان يعترف بها عدد كبير من الدول الأوروبية وغير الأوروبية منها فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة وهولندا، وقد أبرمت معها اتفاقيات عديدة، أما في الميدان العسكري كان لها جيش منظم فيه تقريبا 15000 رجل وأسطول مكون من 60 مركبا)).⁽¹³⁾

فكان للجزائر كل شروط ومقومات الكيان السياسي المستقل قبل الاحتلال الفرنسي، فقد كان لها جنسيتها وشخصيتها المتمثلة في الجيش والعلم والبرلمان والدولة والحدود بناء على المفاهيم الدولية المعمول بها في ذلك الحين، كما كان لها تقاليدها الشعبية من معتقدات وعادات وآداب وأنظمة، وبالتأكيد في عهد التحالف مع الخلافة كان الجزائري يدافع عن فكرتين لا تنفصلان في نظره: القومية (فكرة الانتماء إلى الأمة العربية) والوطنية (فكرة الانتماء إلى الجزائر)، وقد استمر هذا التقليد الشريف إلى ثورة أول نوفمبر 1954.⁽¹⁴⁾

3 . مفهوم الحركة الوطنية الجزائرية:

لا يقف المؤرخين موقفا محددا من اعطى تعريف واحد للحركة الوطنية الجزائرية لعدم اتفاقهم عن بدايتها، وبداية "الوطنية الجزائرية" فينقسمون إلى فريقين. الفريق الأول؛ يؤرخ لها فيرجعها إلى فاتح العشرينات من القرن العشرين، وبالذات إلى حركة الأمير خالد (1919 . 1923) ونشأة منظمة "تجم الشمال الافريقي" سنة 1926، وهناك من يكتب مدخلا لهذه البداية فينطلق من سنة 1912 عند فرض فرنسا التجنيد الاجباري على الجزائريين ومعارضة الرأي العام له وما ترتب على ذلك من توتر عام.⁽¹⁵⁾

وهو ما يتفق مع مفهوم الحركة الوطنية الجزائرية؛ الذي يعبر عن الأداء الجماعي للأحزاب والجمعيات السياسية والثقافية والإصلاحية الجزائرية، التي ارتقت بمستوى المطالبة بتغيير الواقع الاستعماري من ردود الفعل العفوية والمؤقتة إلى حركة سياسية دؤوبة غدت تمتلك أدوات العمل السياسي والمنظم بفعل احتكاكها وتأثرها بالتيارات السياسية الخارجية في العالم الإسلامي وأوروبا في بداية القرن العشرين.⁽¹⁶⁾

وهذا المفهوم الذي يتوافق مع آراء الكتابات التاريخية الأجنبية التي تمثل الفرنسية الغالبة منها التي ترى بأن الحركة الوطنية الجزائرية وليدة العشرينات من القرن الماضي وأن "الوطنية الجزائرية" تأخرت ظهورها إلى السنوات الثلاثينات ومن أشهر هذه الكتابات التي تأثرت بها بعض الكتابات الجزائرية التي سنشير لها لاحقا نذكر المؤرخ الفرنسي "شارل

روبير أجيرون" (Charles Robert Ageron) الذي يرى أنها وليدة النجم الشمال الأفريقي ومصالي الحاج سنة 1927.⁽¹⁷⁾ والمؤرخ الفرنسي "شارل أندري جوليان" (Charles André Julien) الذي قال أن "الوطنية الجزائرية" لم تظهر إلا بعد قرن من احتلال الجزائر تقريبا، وأن رائد الوطنية الحقيقي هو الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر الذي انتسب إليه الجميع حتى الشيوعيون بعد وفاته سنة 1937.⁽¹⁸⁾ وهناك أيضا المؤرخ الفرنسي "روجي لوتورونو" (Roger Le Tourneau) الذي يقول أن الجزائر لم تأت إلى الحياة السياسية العصرية إلا حوالي سنة 1926 لعدة عوامل، منها أنها تجهل الشعور الوطني لكونها بدون تقاليد، إذ لا وجود لدولة جزائرية قبل الأتراك، ثم أن دولة الأتراك لم تكن دولتهم.⁽¹⁹⁾

أما من الكتابات الجزائرية التي انسأقت حول هذا الطرح هناك: المؤرخ "محمد حربي" الذي يرى أن تشكل "الوطنية الجزائرية" هو بالدرجة الأولى نتاج الاضطهاد الكولونيالي، وأن الذي سرع اليقظة الوطنية في الجزائر، إنما هي ثورة أكتوبر في روسيا ملازمة مع ميلاد الحزب الشيوعي، هذان الحدثان ساهما بقسط وافر في ظهور قوة سياسية بالمهجر. ويقول: أن "الوطنية الجزائرية" بدأت كصفحة من صفحات تاريخ الحركة الشيوعية، مؤسسها مصالي الحاج (1897 . 1974)، الذي كان عضوا في هذه الحركة، وبهذه الصفة سيكون أحد قادة نجم شمال إفريقيا.⁽¹⁹⁾ وإلى جانب "حربي" أيضا المؤرخ "محفوظ قداش" صاحب تأليف "تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919 . 1951" الذي يقول أن بوادر بروز الحركة الوطنية الجزائرية هو نهاية الحرب العالمية الأولى.⁽²⁰⁾

أما الفريق الثاني؛ يرجع بالحركة الوطنية الجزائرية إلى سنة 1830 إلى مواجهة الاحتلال في سنواته الأولى، فيعتبر المعارضة السياسية التي قادها أعيان مدينة الجزائر بزعامة "حمدان خوجة" والنضال المسلح الذي خاضه الأمير "عبد القادر" وما ترتب من ردود أفعال نقطة الانطلاق للحركة الوطنية الجزائرية.⁽²¹⁾

فهي كمفهوم عند هذا الفريق تعبر عنها جملة ردود الفعل الوطنية تجاه الواقع الاستعماري الذي كان يلقي بأعبائه على المجتمع الجزائري، وفي هذا السياق فإن الحركة الوطنية تمثل كل أشكال الرفض للاستعمار، كالمقاومة الشعبية المسلحة التي امتدت لعقود عديدة، والمقاومة السياسية التي قادتها النخبة الحضرية في بداية الاحتلال، والهجرة نحو المشرق العربي. وتعتبر عن ردود الفعل الجزائرية الجماعية منها والفردية، المنظمة منها والمعزولة، ورفض مجابهة السياسة الاستعمارية في مستويات مختلفة، ونعني من ذلك رفض التجنيس

والتهجين الثقافي، ورفض التجنيد الاجباري، والمطالبة باسترجاع الأوقاف والدفاع عن القضاء الإسلامي والمطالبة بفصل الدين عن الدولة الفرنسية وغير ذلك من أشكال الاحتجاج والصمود.⁽²²⁾

من أبرز المؤرخين الجزائريين الذين يرفعون عن هذا المفهوم المؤرخ "محمد العربي الزبيري" الذي يقول: ((إن الحركة الوطنية الجزائرية لم تتشكل في أوساط المغتربين الجزائريين بفرنسا، ولم تنطلق من صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، بل إن منبتها أصيل يرجع إلى لحظات الاحتلال الأولى، عندما تنكر الغزاة لمعاهدة الخامس يوليو 1830 قبل أن يجف الحبر الذي كتب به، وكان جميع روادها من المثقفين ثقافة عالية، المتمكنين من اللغة العربية والمثسبعين بالحضارة الإسلامية، وكان من بينهم من يجيد لغات أجنبية أخرى كالإنجليزية والفرنسية)).⁽²³⁾

ويقول في موضع آخر: ((إن الحركة الوطنية الجزائرية إنما ولدت في فرنسا ضريبا من التزيف، لأن العمل بجميع الوسائل من أجل استرجاع السيادة الوطنية والاستقلال الوطنيين بدأ مع بدايت العدوان الفرنسي ولم يكن مقتصرًا على النشاط السياسي، الذي كان مكتفا ومتنوعا ومتواصلا، لكنه شمل، وهو الأهم الجانب العسكري، وكذلك الجانب الاجتماعي والفكري والثقافي والحضاري والاقتصادي...)).⁽²⁴⁾

أما المؤرخ الجزائري "أبو القاسم سعد الله" الذي يتزعم هذا الفريق، من خلال مؤلفه (الحركة الوطنية الجزائرية) في أجزاءه الثلاثة من سنة 1830 إلى 1945. الذي يرد في جزئه الثاني (1900 . 1930) على المؤرخين الفرنسيين الذين يرجعون أصول الحركة الوطنية الجزائرية للثلاثينات من القرن الماضي، أو منهم من يعودونها إلى الفترة التالية للحرب العالمية الأولى، وخصوصا ابتداء من 1926، حين أنشئت منظمة "نجم أفريقية الشمالية"، أو من سنة 1922 حين قاد الأمير خالد معركة ضد فرنسا. فإنه يقول: ((فإن ذلك التناول لأصول الحركة الوطنية الجزائرية مضلل، فأصحابه يتجاهلون عن قصد أو بلا قصد، تاريخ الجزائر عامة وتاريخ حركة الوطنية خاصة، فالقول بأن هذه الحركة تعود فقط إلى بعض السنوات السابقة للحرب العالمية الثانية أو العشرينات، يعني غض النظر عما رأيناه من خلال القرن الماضي، فإنه من سوء الحظ أن هؤلاء الكتاب لا يعتبرون كل تلك الحركات العسكرية والسياسية، والعاطفية حتى ((أعراضا)) لهذه الحركة)).⁽²⁵⁾

من المؤرخين الجزائريين الذين يذهبون في هذا الاتجاه أيضا المؤرخ "جمال قنان" الذي يري أيضا أن الحركة الوطنية الجزائرية تعود أصولها إلى سنة الاحتلال الأولى سنة 1830 ويظهر موقفه هذا جلياً من خلال رده على عدد من المؤرخين الفرنسيين الذي يقول عنهم أنهم يحبون أن يرون في جهود "الأمير خالد" وأنصاره المبدولة هي بداية لظهور الشعور الوطني في الجزائر، والبعض منهم يرفض هذا الرأي ويعتقد أن هذا الشعور الوطني قد تولد بعد هذا التاريخ عند فشل مشروع بلوم فيوليت سنة 1937 على عهد حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا، وقد استخلصوا من ذلك أن الروح الوطنية في الجزائر تولدت بسبب رفض الكولون لكل إصلاح ويقولون انه لو قدر لهذا المشروع النجاح لما ظهرت الوطنية في الجزائر، ولا استمرت تبعية هذه البلاد إلى فرنسا وربما إلى الأبد. يقول "قنان": من الواضح أن تفسيرات من هذه القبيل تخطيء حول نقطتين أساسيتين: أولاًهما تشطب من تاريخ الشعب الجزائري مجيدة تتمثل في المقاومة الإيجابية أي المسلحة ضد الوجود الفرنسي منذ سنة 1830 إلى آخر انتفاضة مسلحة بالأوراس في عام 1916 وتعتبرها شيئاً منفصلاً عنه وعن رصيده النضالي، والنقطة الثانية هي تغاضيها تماماً عن الوضعية المؤلمة التي يبرز تحتها جموع الشعب الجزائري والمتمثلة في القوانين الاستثنائية التي تجثم بكل ثقلها عليه وهي القوانين التي تكتم صوته وتخنق أنفاسه، كيف يمكن أن نتصور إمكانية المطالبة جهراً يقول "قنان" في ظل وضعية كالتى يبرز تحتها الشعب الجزائري بدون الاضطرار إلى حمل السلاح والاعتصام بالجبل وهو ما فعلته الطلائع الواعية من أفراد الشعب طوال القرن التاسع عشر، وهذا ما يسمى بالمقاومة المسلحة، وعندما طرأت أوضاع جديدة على المستوى المحلي والعالمي، أدرك الجزائريون أنه من الضروري الاستفادة منها وذلك بصقل أداة نضال حديثة تتلاءم ومتطلبات الأوضاع الجديدة في ظل علاقات القوى القائمة بين إدارة الاحتلال والقوى الوطنية، وهذا يعني استمراراً للمقاومة ولكن بأسلوب جديد وأسلحة جديدة. فالطلائع الأولى للوطنية الجزائرية لا تعود إلى سنة 1937 ولا إلى سنة 1919 وإنما كانت موجودة قبل عام 1830 وانفجرت في هاته السنة في شكل مقاومة مسلحة مستبسله لطرد قوة العدوان من البلاد.⁽²⁶⁾

4. الحركة الوطنية الجزائرية والاتجاه الاستقلالي:

يختلف المؤرخون في تصنيف عدد الاتجاهات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية منذ العشرينات من القرن الماضي، فمنهم من يصنفهم إلى أربعة اتجاهات كما هو الحال مع

"أبو القاسم سعد الله" الذي يذكر ما يلي:

- (أ) . الاتجاه الثوري؛ الذي كان مطلبه الاستقلال.
 (ب) . الاتجاه المعتدل؛ الذي كان يطالب بالإدماج والمساواة في الثلاثينيات.
 (ج) . الاتجاه العالمي؛ ويعني بهم الشيوعيين.
 (د) . الاتجاه العربي الاسلامي؛ الذي يربط بين تطور الحركة الوطنية الجزائرية والحركات الأخرى المماثلة في الوطن العربي.⁽²⁷⁾

في الوقت التي يصنف "جمال قنان" اتجاهاته؛ فيقول بتصنيفين ويذكر اتجاهين أساسيين هما: (أ) . اتجاه إصلاحي والذي يمثل كل من اتحاديات المنتخبين الجزائريين، ثم في الأربعينات وحتى منتصف الخمسينات الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري وجمعية العلماء الجزائريين والحزب الشيوعي الجزائري.

(ب) . اتجاه ثوري وهو الذي مثله نجم شمال افريقيا ثم حزب الشعب الجزائري وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية أصبح يسمى بحركة انتصار الحريات الديمقراطية.⁽²⁸⁾ وأخر تصنيف نشير إليه هو تصنيف المؤرخ "حباسي شاوش" الذي يذهب في تصنيف اتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية إلى ثلاث اتجاهات تتمثل في ما يلي:
 الاتجاه الأولي؛ الاستقلالي الذي مثله نجم شمال افريقيا عند انفصاله عن تأثير الحزب الشيوعي، ثم أصبح مطلب الاستقلال واضحا في برنامجه واعلانه جبهة بالاستقلال السياسي للجزائر عن فرنسا واعتمد على الوسائل التنظيمية للتنظيم الحزبي ومنهج المغالبة بالجماهير للسلطة الاستعمارية.

الاتجاه الثاني؛ والاتجاه الاصلاحي الذي مثلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأسس عام 1931، وهذا الاتجاه في ظاهره ديني ثقافي لأن قانونه الأساسي ذكر بصراحة عن الخوض والسياسة والشؤون السياسية لكن الواقع كان غير ذلك.

الاتجاه الثالث؛ وهو الاتجاه النخبوي الإدماجي الذي مثله النواب الجزائريون في المجالس الفرنسية. ويدرجهم بعض الكتاب في الاتجاه الإصلاحية السياسي للدلالة على منهجهم السلمي في المطالبة بإصلاح أوضاع الجزائريين وقد تجاوزوا مع حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء أثناء الحرب العالمية الثانية المطالب المتدرجة إلى المطالبة بتقرير المصير أي المطالبة بالاستقلال عن فرنسا.⁽²⁹⁾

ولا يدخل الحزب الشيوعي الجزائري ضمن اتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية انطلاقاً من أيديولوجيته التي عبر عنها زعيمه "موريس ثوريز" (Morice Thorez) في الخطاب الذي ألقه في مدينة الجزائر يوم 11 فيفري 1939، الذي فيه أن الأمة الجزائرية لم تتشكل بعد وهي في طور التكوين من تمازج عشرين عرقاً.⁽³⁰⁾

من هذه الاتجاهات يهمننا "الاتجاه الاستقلالي" الذي يسميه المؤرخون أيضاً "الاتجاه الثوري" في الحركة الوطنية، ويحددون مفهومه بالمطالبة بالاستقلال التام كهدف أسمى، ورفض الجنسية الفرنسية، واللجوء إلى العنف لبلوغ الهدف المنشود. ويعرف أيضاً على أنه التيار الجزائري المحض الذي كان يؤمن بالجزائر كشعب واحد متماسك الأطراف له خصائصه وميزته، لا يقبل التجنيس ولا الاندماج، ولا يرجوا استفادة من الإصلاحات الاستعمارية. وهو أيضاً ذلك التيار الذي لا يفكر إلا في مصير الشعب الجزائري ويهدف فقط إلى تحقيق استقلاله التام وفصله نهائياً عن الاستعمار الفرنسي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ودنياً، دون أي تأثير أجنبي لا يتمشى وأصالته الجزائر الحضارية العربية الإسلامية.⁽³¹⁾

وهو ذلك الخط الذي بدأ مع تلك الوثيقة التي قدم بها خمس قادة الرأي الجزائري سنة 1919 بقيادة الأمير خالد الجزائر إلى الرئيس الأمريكي ويلسن والتي تضمنت المطالبة بمنح الجزائر حق تقرير المصير، ثم تبناه نجم شمال أفريقية ثم حزب الشعب الجزائري وفكرة استرداد الاستقلال عن طريق العنف، خصوصاً في عهد "المنظمة الخاصة"، ثم تبني "اللجنة الثورية للوحدة والعمل" و"جبهة التحرير الوطني" لمبدأ الثورة لتحقيق الاستقلال.⁽³²⁾

وهو الاتجاه الذي سيصبح مرادف لمصطلح "الحركة الوطنية" عند مناضلي هذا التيار كما يبدو من خلال وثيقة بيان أول نوفمبر 1954 عندما تتحدث عن الأزمة التي تعرض لها حزب الشعب (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) في صفوف قيادته بين مركزيين ومصاليين وترادف هذا الحزب بمصطلح "الحركة الوطنية" فنقول ما يلي: ((أمام الوضعية التي يخشى أن يصبح علاجها مستحيلًا، رأت مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لاتزال سليمة ومصممة، أن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص والتأثيرات إلى المعركة الحقيقية الثورية إلى جانب إخواننا المغاربة والتونسيين)).⁽³³⁾

5 . الحركة الوطنية والثورة الجزائرية:

اعتادت الكتابات التاريخية التي تؤرخ لتاريخ الجزائر المعاصر الفصل في التسمية بين مرحلتين زمنيتين، الأولى تبدأ من بداية القرن العشرين إلى غاية قيام الثورة عام 1954، وتسمى "الحركة الوطنية"، بينما المرحلة الثانية تبدأ من هذا التاريخ الأخير وتنتهي عام 1962 وتسمى "الثورة الجزائرية"، فإن كان الفصل للتمييز بين مرحلتين من الحركة الوطنية اختلفا في الوسائل المستعملة للتحرر فلا يشكل هذا ضرراً، بل هو تقسيم يساعد على الفهم ويميز بين المرحلتين المتمثلتين في مرحلة المطالبة السلمية الطويلة ثم مرحلة الثورة التي دامت سبع سنوات.⁽³⁴⁾ فالثورة الجزائرية داخلية ضمن مفهوم "الحركة الوطنية الجزائرية"، وهي تعبر عن عمل سياسي منظم ولكن بالسلاح بعد أن عجزت الوسائل السلمية، ونقطة الالتقاء بين المرحلتين هي العمل على تحقيق الاستقلال.

ولكن الواقع أن الحركة الوطنية هي ثلاثة مراحل متميزة إذا عدنا إلى التعريف الذي يعود بالحركة الوطنية الجزائرية إلى سنة 1830 مرحلة المقاومة الشعبية المسلحة حتى نهاية الحرب العالمية ثم تأتي المرحلتين السابقتين. مع التنبيه إلى عدم الخلط مع "الحركة الوطنية الجزائرية" التي أنشأها "مصالي الحاج" في شهر ديسمبر كمناهضة لجبهة التحرير الوطني.

الهوامش:

(1) القاموس السياسي ومصطلحات المؤتمرات الدولية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، ص: 246.

(2) عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر دار الهدى للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1994، ج 2، ص: 222.

(3) ولد هانز كوهن في براغ عام 1891، وانتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1933 حيث درس التاريخ في كلية سميث في نورثامبتون بولاية ماساتشوستس (1934 - 1949)، ثم درس في كلية سيتي في نيويورك (1949 - 1962)، توفي عام 1971. من أهم مؤلفاته: (فكرة القومية: دراسة في أصولها وخلفيتها (1944))، (أنبياء وشعوب: في قومية القرن التاسع عشر (1946))، (القومية الأميركية: دراسة تفسيرية (1957))، (عصر القومية: الحقبة الأولى من التاريخ العالمي (1962))، (القومية: معناها وتاريخها (1962)). أنظر: أوموت أوزكيريمللي، نظريات القومية مقدمة نقدية، ترجمة: معين الإمام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2013، ص: 88.

(4) Hans Kohn, Nationalism Its Meaning and History, Printed in The United States Of America, 1955, pp:9-10.

(5) محمد العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ج 1، ص: 8.

(6) مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص: 442.

- (7) أحمد زكريا بدوي، المصطلحات السياسية والدولية، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1989، ص: 91.
- (8) أحمد زكريا بدوي، مرجع سابق، ص: 702.
- (9) علي أحمد هارون، أسس الجغرافية السياسية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص: 61.
- (10) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1900 . 1930)، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج2، ص: 68.
- (11) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2007، ج 1، ص ص: 64 . 65.
- (12) محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ترجمة: أحمد بن البار، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ج1، ص: 603.
- (13) فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، دار الجزائر للكتاب، الجزائر، ص: 42.
- (14) أبو القاسم سعد الله، أبحاث، مرجع سابق، ص: 69.
- (15) أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر المقاومة والتحرر (1830 . 1962)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2007، ص: 97.
- (16) خير عبد النور وآخرون، منطلقات وأسس الحركة الوطنية الجزائرية (1830 . 1954)، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص: 14.
- (17) شارل روبير أجبرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص: 140.
- (18) شارل أندري جوليان، افريقيا الشمالية تسيير (القوميّات الإسلامية والسيادة الفرنسية)، ترجمة: المنجي سليم والطبيب المهيري والصادق المقدم وفتحي زهير والحبيب الشطي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص ص: 55 . 133.
- (18) الأمين شريط، التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919 . 1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص: 2.
- (19) محمد حربي، الجزائر 1954 . 1962 جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة: كميل قيصير داغر، مؤسسة الأبحاث العربية، ش.م.م، بيروت، لبنان، 1980، ص: 25.
- (20) محفوظ قداش، مرجع سابق، ص: 6.
- (21) أبو القاسم سعد الله، خلاصة، ص: 97.
- (22) خير عبد النور وآخرون، مرجع سابق، ص: 13.
- (23) محمد العربي الزبيري، في رحاب التاريخ والنوفمبريون الجدد، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2014، ص: 58.
- (24) محمد العربي الزبيري، في رحاب، مرجع سابق، ص: 58.
- (25) أبو القاسم سعد الله، الحركة، مرجع سابق، ص: 96.

- (26) جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، م 4، ص ص: 201 . 202.
- (27) أبو القاسم سعد الله، أفكار جامعة، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، 2005، ص: 34.
- (28) جمال قنان، مرجع سابق، ص: 206.
- (29) حباسي شاوش، ((مصطلحات ومفاهيم في الحركة الوطنية الجزائرية))، الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة يصدرها معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية المركز الجامعي الوادي، ع 1، يونيو 2010، ص: 189.
- (30) محفوظ قداش، مرجع سابق، ص: 820.
- (31) يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين (1919 . 1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص: 6.
- (32) أبو القاسم سعد الله، أفكار، مرجع سابق، ص: 35.
- (33) بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 621.
- (34) حباسي شاوش، مرجع سابق ، ص: 189.